ملخّص ما بين واقعين واقع الدنيا وواقع الدين (ح١) / عبد الحليم الغزّي

الاربعاء : ٢٩/ربيع الاول/١٤٤٤هـ - الموافق ٢٦/١٠/٢٠٢٢م

فراراً من الضَّياع وبَحثاً عن النَّجاة ما بَيْنَ أفْنِيَة الدُّنْيَا وتَلافيفِهَا الْمُتداخلة الْمُتَشَابِكَة وَفَسيح أفْيَاء دِيْنِ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صَلواتُ اللَّه عَلَيْهِم يَحْتَدمُ الصِّرَاعُ فِي نُفُوسنَا؛ مَا بَيْنَ النَّشَاط وَالكَسَل، مَا بَيْنَ الإهْمَال وَالعَمَل، مَا بَيْنَ اليَأس وَالأمَل، وَمن بَيْنِ كُلِّ ذَلكَ يَنْبَثِقُ ضَوءٌ فَيَّاضٌ لَامِعٌ بَرَّاقٌ فِي نِهَايَة النَّفَق، سَبَقَتْنَا قُلُوبُنَا مُتَرَاكِضَةً إلَيْه قَبْلَ أجْسَادنَا تُرَتِّلُ نَغْمَةَ شَوْق وَلَهْفَة مُتَأَجِّجَة:

سَلَامٌ سَلَامٌ عَلَى ضِيَاء حَيَاتنَا الْمُشْرِق وَنُورِهَا الْمُتَأَلِّق.. سَلَامٌ عَلَى مَنْبَع الطُّهْرِ الْمُتَدَافِع الْمُتَدَفِّق إمَام زَمَاننَا الحُجَّة بن الحَسَن القَائم بِالْحَقّ.. سَلَامٌ عَلَى شِيْعَتِه ومُنْتَظِريه..

لن أجدَ صُورةً تَجمعُ بينَ واقعِ الدُّنيا وواقعِ الدِّينِ بشكلٍ واضحٍ وعميقٍ وبَيِّنٍ جِدّاً مثلما أجدُ ذلكَ في عاشُوراء، عاشُوراء هذهِ اللوحةُ العملاقةُ جمعت في طواياها ما بينَ واقعِ الدُّنيا بِكُلِّ تلافيفه وبينَ واقعِ الدِّينِ بِكُلِّ وضوحِ حقِّه المرّ.

في (تاريخ الطبري)، الكتابُ المعروف، سألتقطُ منهُ لقطاتٍ سريعةً تُحدِّثُنا عن واقعِ الدُّنيا في أجواءِ لوحةِ عاشُوراءِ العملاقة.

في الجزء الثالث من تأريخ الطبري؛ تأريخُ الأمَمِ والملوك/ طَبعةُ دار صادر/ بيروت - لبنان/ الطبعةُ الَّتي قَدَّم لها نوّافُ الجرّاح/ الطبعةُ الثانية/ ٢٠٠٥ ميلادي/ صفحة (١٠٤٦)، في هذه الطبعة جاء الترقيم متسلسلاً بنحوٍ واحد في كُلِّ الأجزاء، نَقلَ الطبريُّ هُنا كلاماً عن شَبَث بن ربعي.

أتعلمون ما معنى الشَّبَث؟ الشَّبَثُ هو العنكبوت، من أسماء العنكبوت، فماذا يقولُ هذا العنكبوت هذا الشَّبَث؟ بعدَ أن اشتركَ في قتلِ الحُسَينِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه يَتحدَّثُ عن العراق فيقول: **لا يُعطي اللَّهُ أهلَ هذا المصر خيراً أبداً، ولا يُسدِّدُهم لرُشد** - وهذه حقيقةٌ يتلمَّسُها الباحثُ في التأريخ إذا كانَ يبحثُ بشكلٍ دقيق - **ألا تَعجبون أنَّا قاتلنا مع عليِّ بن أبي طالبٍ ومع ابنه من بَعده** - يُشيرُ إلى الإمام الحسن - **ومعَ ابنه من بعده آلَ أبي سُفيان خمس سنين ثُمَّ عَدَوْنَا على ابنه** - على الحُسَين - **ثُمَّ عَدَوْنَا على ابنه وهو خيرُ أهلَ الأرض نُقاتلهُ معَ آلِ مُعاوية وابن سُميّة الزَّانية** - هُم يعرفونَ بعضهم البعض - **ضلالٌ يا لكَ من ضلال** - صورةٌ من الواقعِ الدُّنيوي بالألوانِ الطبيعيّة الواضحة، هذه هي الدُّنيا، وهذا هو الواقعُ الدُّنيويّ الَّذي يحكمُ النَّاس.

هل أحتاجُ إلى تعليقٍ على هذا الكلام؟ إنَّها صُورةٌ واضحةٌ من الواقعِ الدُّنيوي، وهذهِ الصورةُ موجودةٌ في كُلِّ مقطعٍ زمانيٍ من تأريخِ هذهِ الدُّنيا، وموجودةٌ في أيّامنا، وستبقى موجودةً إلى يومِ ظُهورِ قائمِ آلِ مُحَمَّد صَلواتُ اللّه عليه وعليهم.

صورةٌ ثانية من المصدرِ نفسه صفحة (١٠٢٨) هكذا يُحدِّثُ الطبريّ عَن سعد بن عُبيدة: **إنَّ أشياخاً من أهلِ الكُوفة لوقوفٌ على التلِّ يبكون** - أشياخ! إنَّهم قريبونَ من الموت أرجُلُهم قريبةٌ من قُبورهم يقفونَ على التلِّ مع قَتَلَة الحُسَين يُشرِفُونَ على المعركة إنَّهم يَنظُرونَ بأعينهم للَّذي يجري في ساحة المعركة، هُم في جيشِ ابن سعد لعنةُ اللّه عليه وعليهم - **ويقولونَ: اللَّهُمَّ أنزِلَ نَصرَكَ** - أنزِل نصرك على الحُسين وهُم مع الجيش الأموي، هُم مَعَ قَتَلَة الحُسين وينظُرونَ إلى ساحة المعركة وما يجري فيها ويبكون ويطلبونَ من اللّه أن يُنزِلَ نَصرَهُ على الحُسَين، هل هذه الصورةُ غريبةٌ؟ أبداً، هذا هو واقعُ الدُّنيا، هذه صورٌ من صحائف كتاب الدُّنيا، هذه صُورٌ من الواقعِ الدُّنيوي الَّذي نعيشهُ، هذه الصورةُ موجودةٌ على طَول الخط لكنَّها قد تكونُ واضحةً جِدّاً في مقطعٍ من المقاطع كما نحنُ في عاشُوراء، فأينَ الغرابةُ من شُيوخ النَّجف وكربلاء والصَّادقُ يقول عنهُم من أنَّهم أضرّ على الشيعةِ من جيشِ يزيد على الحُسين بن علي وأصحابه؟!

صورةٌ أخرى قد يُقالُ عنها من أنَّها غريبةٌ لكنَّها ليست غريبةً إنَّها الدُّنيا، إنَّها الدُّنيا بِكُلِّ تفاهتها، وإنَّها الدُّنيا بِكُلِّ غُرورها، وإنَّهُ ابنُ آدم المخلوقُ الأعمق الَّذي يضحكُ على نفسه وتضحكُ عليه الدُّنيا، ويضحكُ عليه إبليسُ من خلالِ جُنوده من الجنِّ والإنس ويضحكُ عليه مراجعُ الدِّين رِجالُ الدِّينِ في كُلِّ الدِّيانات هذه الكياناتُ القذرةُ الوسخة، في كُلِّ ديانة رجالُ الدِّينِ يحملونَ رمزاً من إبليس، وفي النَّجف يضعونَ عمامةَ إبليس على رؤوسهم، لستُ أنا الَّذي أصفُ العمامةَ هذه بالعمامة الإبليسية إنَّها أحاديثُهم ورواياتهم الشريفة.

صَفحة (١٠٤٩)، من الجزء الثالث من تأريخ الطبري؛ "حكايةُ الضحّاك المشرقي"، الَّذي كانَ مع الحُسينِ صلواتُ اللّه عليه ولكنَّهُ في اللحظات الأخيرة حينما قُتل أصحابُ الحُسَين، ولم يبقى مَعَ الحُسينِ من ناصرٍ إلَّا القلّة امتطى جوادَهُ وفَرّ من ساحة المعركة، قد يُذكَر في بعض الكتب باسمٍ؛ "الضحّاك بن قيس المَشرقي"، وذُكر هُنا باسم؛ "الضحّاك بن عبد الله المشرقي"، فربَّما يكونُ قيس اسم جَدِّه، هو الَّذي يقول: **لَمَّا رأيتُ أصحابَ الحُسينِ قد أصيبوا وقد خُلصَ إليه وإلى أهلِ بَيته** - أكثر الأصحاب قُتلوا وسيأتي الدور على أهلِ بيت الحُسين - **ولم يبقى معهُ غير سُويد بن عمر ابن أبي المطاع الخثعمي وبشير بن عَمر الحضرمي قُلت لهُ** - الضحّاك المشرقي يقولُ للحسين - **قلتُ لهُ: يا ابن رسول اللّه قد علمتَ ما كانَ بَيني وبينكَ قُلتُ لك: أقاتِلُ عَنكَ ما رأيتُ مُقاتلاً فإذا لم أرى مُقاتلاً فأنا في حلٍّ من الانصراف فقُلت لي: نعم، قالَ، فقال** - فقالَ الحُسين - **صدقت وكيفَ لكَ بالنَّجاة؟** - كيف تنجو؟ - **إنْ قَدَرت على ذلك فأنتَ في حلّ، قالَ: فأقبلتُ إلى فرسي وقد كُنت حيثُ رأيتُ خَيلَ أصحابِنا تُعْقَر** - أصحاب الحُسين عقروا خُيولَهم لماذا عقروا خُيولَهم؟ لأنَّهم قَرّروا النُّزُولَ إلى المعركة وهُم عارفونَ من أنَّهُم سيُقتلون فلا يُريدونَ أن ينتفعَ أعداؤهم من خُيولهم وأن تَكونَ الخُيولُ غَنيمةً وهذا أمرٌ كانَ معروفاً في الحروبِ في تلكَ الأزمنة - **أقبلتُ بها حتَّى أدخلتُها فُسطاطاً لأصحابِنا بين البُيُوت، وأقبلتُ أقاتلُ معهُم راجلاً فقتلتُ يومئذ بين يدي الحُسَينِ رجلين، وقطعتُ يدَ آخر، وقَالَ لي ا لحُسَينُ يومئذ مِراراً لا تُشْلَل، لا يَقطعُ اللَّهُ يدك، جزاكَ اللَّهُ خيراً عن أهلَ بيت نَبِيك، فلمَّا أذن لي استخرجتُ الفرس من الفُسطاط ثُمَّ استويتُ على متنها ثُمَّ ضربتُها حتَّى إذا قامت على السنابك رميتُ بِها عَرْضَ القوم فأفرجوا لي، واتَّبعني منهُم خَمسة عشر رجلاً حتَّى انتهيتُ إلى شَفْيَة قرية قريبة من شاطئ الفُرات فلمَّا لَحقوني عطفتُ عليهم فعرفني كَثير بن عبد اللّه الشِّعْبي وأيوب بنُ مشرح الخيواني وقيس بن عبد الله الصائدي فقالوا: هذا الضَّحّاكُ بنُ عبد اللّه المشرقي، هذا ابنُ عَمِّنا نُنشدكم اللّه لَمَا كَفَفتُم عنه، فقال ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معهم: بلى واللّه لَنُجيبنَّ إخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبّوا من الكَفِّ عن صاحبهم، قالَ: فلمَّا تابع التميميّونَ أصحابي كَفَّ الآخرون فنَجَّاني اللّه.**

حكايةُ الضحّاك المشرقي غريبةٌ هي لكنَّ ها على الدُّنيا ما هي بغريبة، يُقاتلُ معَ الحُسين ولَمَّا يفنى أصحابُ الحُسَين يُخرِجُ فَرسهُ من الفُسطاط حيثُ أخفى فَرسه وامتطى صهوةَ جواده وترك الحُسينَ وفرّ بنفسه، صُورٌ واضحةٌ جِدّاً من واقعِ الدُّنيا.

الآيةُ الثالثةُ والعشرون بعدَ البسملة من سورة الأحزاب: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾، هذه الآيةُ كَرّر قراءتَها وتلاوتها سَيِّدُ الشُّهداء في يومِ عاشوراء كُلَّما وقعَ شهيدٌ على رمال الغاضريّات من أصحابه.

هذهِ صورٌ حقيقيّةٌ من واقعِ دينِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صلواتُ اللّه عليهم..

حينما نقرأُ في الآية التاسعة بعدَ العاشرة بعدَ المئة من سورة التوبة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾، كيفَ نكونُ مع الصّادقين؟ أن نَصْدُقَ مَعَهُم، حينَما نَصْدُقُ معهم فإنَّنَا نَصدُقُ مع اللّه، الصَّادقونَ بالمعنى الحقيقي الكامل هُم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، إنَّهُم الأئمَّةُ المعصومونَ الأربعة عشر ابتداءً من رسول اللّه وانتهاءً بإمامِ زماننا الحُجَّة بن الحسن، هؤلاءِ هُم الصَّادقونَ حقيقةً، إطلاقُ الصَّادقينَ حتَّى على الأنبياءِ يَكونُ بمنزلةٍ وبرُتبةٍ دُونَ منزلة الصَّادقينَ الَّتي لمُحَمَّد وآل مُحمَّد.

قد يقولُ قائلٌ: الأنبياءُ يكذبون؟!

أنا لا أتحدَّثُ عن هذا المعنى، أنا أتحدَّثُ عن العلم، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد الصَّادقونَ في علمهم، هذا الوصفُ لن يكونَ حقيقيّاً إلَّا أن يكونَ علْمُهم كاملاً مُطلقاً، وهذا لا يتوفَّرُ في الأنبياء ولا في غيرِ الأنبياء، العلَمُ الكاملُ المطلقُ الَّذي يُشارُ إليه في دُعاء البهاء في دُعاء السَّحَر: (اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ منْ علْمكَ بأَنْفَذه وَكُلُّ علْمكَ نَافذ)، الحديثُ هُنا ليس عن علم الذَّاتِ الإلهيّة فَعلمُ اللّه ليس فيه مراتب، أنفذُ العلم الإلهي هو علمُ مُحمَّد وآل مُحمَّد، ومنَ هُنا فإنَّ الإطلاقَ حينما نقول الصَّادقون لن ينطبقَ بتمامِ حقيقة المعنى إلَّا عليهم، إلَّا على الأئمَّة المعصومينَ الأربعةَ عشر مُحَمَّدٌ عَليٌّ فَاطمَة وإلى القائم صلواتُ اللّه عليهم.

في الجزء التسعين من (بحار الأنوار) للمجلسي/ طبعةُ دارِ إحياء التُراث العربي/ بيروت - لبنان/ صفحة (٣٦٨)، الحديثُ الثالث نقلهُ عن تفسير القُمي: **بسنده، عَن جَميل** - إنَّهُ جَميلٌ بن درَّاج من أصحابِ إمامنا الصَّادق - **عَن إمَامنَا الصَّادقِ صَلواتُ اللّه عَليه قَالَ لَهُ رَجُلٌ: جُعلْتُ فدَاك، إنَّ اللّهَ يَقُول: "ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"، فَإنَّنا نَدْعُو فَلَا يُسْتَجَابُ لَنَا** - فَأَيْنَ وَعْدُ اللّه؟! - **قَالَ: لأَنَّكُم لَا تَفُونَ للّه بِعَهْدِه، وَإنَّ اللّهَ يَقُول: "أَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ"، وَاللّه لَوْ وَفَيتُم للّه لَوَفَا اللَّهُ لَكُم** - فإذا صَدَقْنَا مع اللّه صَدَقَ اللّهُ معنا، (**اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم**)، هذهَ قوانينُ اللّه، هذه أخلاقُ اللّه، هذه سُنَنُ اللّه.

في (علَلُ الشرائع)، للصَّدوق/ المتوفّى سنة (٣٨١) للهجرة/ الجزء الأوَّل/ الباب التاسع/ عنوانُ الباب: "علَّةُ خَلق الخلق واختلاف أحوالهم"، الحديثُ الأوَّل: **عَن إمَامنَا الصَّادقِ صَلواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَليه: خَرَجَ الحُسَينُ بنُ عَلِيٍّ عَلَى أَصْحَابِه فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاس، إنَّ اللّهَ جَلَّ ذكرُه مَا خَلَقَ العبَادَ إلَّا ليَعْرِفُوه، فَإذَا عَرَفُوهُ عَبَدُوه، فَإذَا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوا بعبَادَته عَنْ عبَادَة مَنْ سوَاه، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا ابْنَ رَسُول اللّه، بأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَمَا مَعْرِفَةُ اللّه؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إمَامَهُم الَّذي يَجبُ عَلَيهِم طَاعَتُه** - حَينما نَعرِفُ إمامَ زماننا سَنَصْدُقُ معهُ.

في الجزء التسعين من (بحار الأنوار)، الحديثُ الرابع، صفحة (٣٦٨): **عَن إمَامنَا الكَاظمِ صَلواتُ اللّه عَليه، قَالَ: قَالَ قَوْمٌ للصَّادقِ** - للإمام الصَّادقِ صَلواتٌ وسلامٌ عليه - **نَدْعُو فَلا يُسْتَجَابُ لَنَا؟ قَالَ: لأَنَّكُم تَدْعُونَ مَن لَا تَعْرِفُونَهُ** - أنتُم لا تعرفونَ اللّه، كيفَ نَعرِفُ اللّه؟ نَعرِفُ إمَامَ زمَاننا، حينئذٍ إذا ما تَوجَّهنا إلى وجه اللّه فإنَّنا ندعو مَن نعرفهُ حينئذ نَعرِفُ اللّه.

هذه الأحاديثُ أُصولٌ عقائديَّةٌ وأصولٌ فكريَّةٌ وأصولٌ ثقافيَّةٌ أخاطبُكم أنتُم الَّذينَ تريدونَ أن تخدموا إمامَ زمانكم، خدمةُ إمامِ زمانكم تحتاجُ إلى معرفة.

ماذَا قالَ إمامنا الحُجَّةُ صلواتُ اللّه وسلَامهُ عليه في الرسالة الثانيةَ الَّتي وصلت إلى المفيد بشأنِ معرفة الشيعة لإمامِ زَمانهم؟

في الجزء الثال ث والخمسين من (بحار الأنوار) للمجلسي/ طَبعةُ دار إحياء التراث العربي/ الصفحة السابعة والسبعين بعدَ المئة/ في آخر الرِّسالة الثانية الَّتي وردت إلى الشيخ المفيد من النَّاحية المقدَّسة سنة (٤١٢) للهجرة، الإمامُ هكذا يقول: **وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا وَفَّقَهُم اللّهُ لطَاعَته عَلَى اجْتمَاعٍ منَ القُلُوبِ في الوَفَاء بالْعَهْد عَلَيهِم** - ما كانوا صادقينَ مَع إمامِ زمانهم مثلما نحنُ - **لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُم اليُمْنُ بلقَائنَا وَلَتَعَجَّلَت لَهُم السَّعَادَةُ بمُشَاهَدَتنَا عَلَى حَقِّ الْمَعْرفَة وَصدْقهَا منْهُم بنَا** - الحديثُ عن معرفة صادقة، حينما تكونُ المعرفةُ صادقةً فإنَّنا سنكونُ صَادقينَ مَعَ إمامِ زماننا - **فَمَا يَحبسُنَا عَنْهُم** - الَّذي يحبسُ الإمامَ الحُجَّة عَنَّا هو هذا: **فَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُم إلَّا مَا يَتَّصلُ بنَا ممَّا نَكْرَهُهُ وَلَا نُؤْثرُهُ منْهُم** - إنَّهُ يكرهُ لقاءنا، إنَّهُ يكرهُ جوارنا، إنَّهُ يكرهُ واقعنا، هذهِ هي الحقيقة، والسَّببُ مراجع النَّجف وكربلاء أساسُ البليَّة هؤلاء..

- ما قرأتهُ عليكُم من تأريخ الطبري يُمثِّلُ واقعَ الدُّنيا.

- وما حدَّثتُكُم به من مضمونِ هذه الآية: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾، يُمثِّل واقعَ الدِّين.

أمَّا نحنُ فنحنُ في حالة تَيه ما بينَ الدِّينِ والدُّنيا، فلا نحنُ من أهل الدِّينِ حقيقةً ولا نحنُ من أهل الدُّنيا، مراجع النَّجف وكربلاء هؤلاء عُبَّادُ الدُّنيا لا علاقة لَهُم بالدِّينِ أصلاً وإنَّمَا يُوظِّفونَ الدِّينَ لعبادة الدُّنيا لتحقيقِ مآربهم الدُّنيويّة وبعضٌ منهُم أغبياء مضحوكٌ عليهم لا يعرفونَ الحقيقةَ ما هي، يتصوَّرون أنَّهُم على دينِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد ولا يعلمونَ أنَّهُم على المذهب الطوسي الَّذي أسَّسهُ العبّاسيّونَ للشيعة كي يتخلَّصوا من الشيعةِ بالكامل وأوكلوا الأمرَ إلى الطوسي.

السؤالُ هُنا: **مَا هِيَ المقدِّمَةُ الَّتي تقودُنا إلى أن نَكُونَ صَادقينَ مَعَ إمامِ زماننا؟!**

علينا أوّلاً: أن نَكونَ صادقينَ مع أنفُسنا وبعدَ ذَلك يأتي الكلامُ عن صدقنا مع إمامِ زماننا، هل نحنُ صَادقونَ مع أنفُسنا؟ لو رجعتُم إلى منظومة الأدعية والزِّيارات الَّتي وردتنا عنهُم صلواتُ الله عليهم وتدبَّرتُم فيها ستجدونَ هذَا الموضوعَ - أتحدَّثُ عن صدقِ الإنسانِ مع نفسه - ستجدونَ هذا الموضوعَ واضحاً ومُنتشراً في كُلِّ صحائف الأدعيةِ والزِّيارات.

على سبيلِ المثال: أقتطفُ هذهِ العبائر من دعاء يوم عرفة.

في (مفاتيح الجنان)، الدُّعاء المرويّ عن سيد الشُّهداء صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: **إلَهِي أَمَرْتَني فَعَصَيتُك** - إذا كنتُ أعيشُ هذه المعاني حقيقةً لا أنْ أتلفَّظَها لَغواً ولقلقةً فإنَّني سأكونُ صادقاً مع نفسي على الأقلِّ بحدود هذه العبائر - **وَنَهَيتَني فَارْتَكَبْتُ نَهْيَكَ فَأَصْبَحْتُ لَا ذَا بَرَاءَةً لِي فَأَعْتَذرُ وَلَا ذَا قُوَّة فَأَنْتَصر** - أنتصرُ ممَّن؟ منَ اللّه؟ - **فَبأَيِّ شَيْء أَسْتَقْبلُكَ يَا مَوْلَايَ أبِسَمْعِي أَمْ بَصَرِي، أَمْ بلسَانِي أَمْ بيَدِي أَمْ برِجْلِي؟ أَلَيْسَ كُلُّهَا نعمَكَ عنْدِي وَبكُلِّهَا عَصَيْتُكَ يَا مَوْلَايَ؟ فَلَكَ الحُجَّةُ وَالسَّبِيلُ عَلَيَّ يَا مَنْ سَترَنِي منَ الآبَاء وَالأُمَّهَات أَنْ يزْجرُونِي، وَمنَ العَشَائرِ وَالإخْوَان أَنْ يعيّرُونِي، وَمنَ السَّلاطِينِ أَنْ يعَاقبُونِي، وَلَوْ اطَّلَعُوا يَا مَوْلَايَ عَلَى مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْه منِّي إذَاً مَا أَنْظَرُونِي وَلَرَفَضُونِي وَقَطَعُونِي، فَهَا أَنَا ذَا يَا إلَهِي بَيْنَ يَدَيْكَ يَا سَيدِي خَاضعٌ ذَليلٌ حَصيرٌ حقير** - "حصير"؛ لا أستطيعُ الكلام قد أصابني الحصر وهو العي، ماذا أقول؟! - **لَا ذُو برَاءَة فَأَعْتَذر وَلَا ذُو قُوَّة فَأَنْتَصر وَلَا حُجَّة فَأَحْتَجَّ بهَا وَلَا قَائلٌ لَم أَجْتَرِح وَلَم أَعْمَل سُوْءاً، وَمَا عَسَى الجُحُودُ وَلَو جَحَدتُ يَا مَوْلَايَ يَنْفَعُني كَيْفَ وَأَنَّى وَجَوَارحِي كُلُّهَا شَاهدَةٌ عَلَيَّ بمَا قَدْ عَملتُ، وَعَلمتُ يَقيناً غَيْرَ ذي شَكٍّ أَنَّكَ سَائلِي منْ عَظَائمِ الأُمُور، وَأَنَّكَ الحَكَمُ العَدلُ الَّذي لَا تَجُور، وَعَدْلُكَ مُهْلكِي وَمن كُلِّ عَدْلكَ مَهْرَبِي، فَإنْ تَعَذِّبْني يَا إلَهِي فَبذُنُوبي بَعْدَ حُجَّتكَ عَلَيَّ، وَإنْ تَعْفُ عَنِّي فَبحلْمكَ وَجُودكَ وَكَرَمك** - هذه الجُمَلُ وهذه العبائرُ تحكي واقعَنا وتحكي أحوالَنا، من هُنا كانَ الأئمَّةُ صَلواتُ اللّه عليهم يدعونَ لأصحابهم أنْ لا يخرجوا من حَدِّ التقصير، (لَا أَخْرَجَكَ اللّهُ من حدِّ التَّقْصير)، حينما نكونُ في حَدِّ التقصير هذا يكشفُ عن شيء أنَّنا صَادقونَ معَ أنفُسنا، حينما نَصْدُقُ مع أنفُسنا فإنَّنا نجدُ أنفُسنا في مقام التقصير، هَل كَانَ الضحَّاكُ المشرقيّ صادقاً معَ إمامِ زمانه؟ لم يكُن الضحَّاكُ المشرقيّ صادقاً مع إمامِ زمانه.

هل كانَ أشياخُ الكوفة الواقفونَ على التلِّ في جهة ابن سعد لعنةُ اللّه عليه هل كانوا صادقينَ مع أنفُسهم؟ لم يكونوا كذلك.

شَبَث بن رِبعي كانَ صَادقاً مع نفسه لكنَّهُ لم يُرتِّب أثراً على صدقه مَعَ نفسه، لأنَّ الصِّدقَ معَ النَّفسِ من دُونِ ترتيبِ أثرٍ لا قيمةَ لهُ..

مُناجاةُ الشاكين تُخبرنا عن هذه الدوّامة؛ المناجاةُ المرويَّةُ عن إمامنا السجّاد صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، هذه الدوّامةُ نحنُ دائماً فيها في ليلنا ونهارنا لماذا؟ لأنّنا حتّى لو كُنّا صادقينَ معَ أنفُسنا إنّنا لا نُرتّبُ أثراً عملياً على صدقنا معَ أنفُسنا، هذا إذا كُنّا صادقينَ مع أنفُسنا.

مُناجاةُ الشاكين تُخبرنا عن الدوّامة الّتي نحنُ نعيشُها: **إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْساً بِالسُّوءِ أَمَّارَةً وَإِلَى الخَطِيئَةِ مُبَادِرَةً، وَبِمَعَاصِيكَ مُوْلَعَةً** - عاشقة للمعاصي - **وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً تَسْلُكُ بِي مَسَالِكَ الْمَهَالِكِ وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هَالِكٍ، كَثِيرَةَ العِلَلِ** - المرادُ من أنّها كثيرةُ العلل؛ كُلُّ خطأ، كُلُّ معصيةٍ يُعلّلها الإنسانُ بعلّة كي يُخرِجَ نفسهُ من المسؤوليّة، هذا المُراد من أنّها كثيرةُ العلل.

- **طَوِيلَةَ الأَمَلِ، إِنْ مَسَّهَا الشَّرُّ تَجْزَعُ وَإِنْ مَسَّهَا الخَيْرُ تَمْنَعُ، مَيَّالَةً إِلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، مَمْلُوَّةً بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، تُسْرِعُ بِي إِلَى الحَوْبَةِ** - "الحوبةُ"؛ الآثام - **وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ** - "تُسوّفُني"؛ تُعطيني أملاً إنّها كثيرةُ العلل طويلةُ الأمل - **إِلَهِي أَشْكُو إِلَيْكَ عَدُوّاً يُضِلُّنِي وَشَيْطَاناً يُغْوِينِي قَدْ مَلَأَ بِالْوَسْوَاسِ صَدْرِي، وَأَحَاطَتْ هَوَاجِسُهُ بِقَلْبِي، يُعَاضِدُ لِيَ الهَوَى، وَيُزَيِّنُ لِي حُبَّ الدُّنْيَا، وَيَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ الطَّاعَةِ وَالزُّلْفَى** - "الزّلفى"؛ القُربى، هذا الشّيطانُ قد يكونُ من الجنّ وقد يكونُ من الإنس وقد يكونانِ معاً.

- **إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو قَلْباً قَاسِياً مَعَ الوَسْوَاسِ مُتَقَلِّباً، وَبِالرَّيْنِ وَالطَّبْعِ مُتَلَبِّساً، وَعَيْناً عَنِ البُكَاءِ مِنْ خَوْفِكَ جَامِدَةً** - "وَبالرّينِ والطَّبَع"؛ إنّها حُجُب القُلوب - **وَإِلَى مَا يَسُرُّهَا طَامِحَةً** - متوجهةٌ إلى ما فيه سرورٌ دُنيوي وهُو سرورٌ خَدّاعٌ مُخادعٌ، هذه حقيقةُ الدُّنيا، هذه الدوّامةُ نحنُ ندورُ فيها..

حينما نَصدُقُ مع أنفُسنا فإذا أردنا أن نُرتّبَ أثراً عمليّاً على صِدقنا مع أنفُسنا فنحنُ بحاجةٍ إلى ثورةٍ، وهذا هو الّذي يُطالبنا به القُرآن.

القُرآنُ طالَبنا بثورة على أنفُسنا على مستويين:

المستوى الأوّل: **أنْ نَنْتَفِض على موتنا.**

في الآية الرابعة والعشرين بعدَ البسملة من سورة الأنفال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للّه وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ** - "دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكم"؛ يعني أنّكم أموات فانتفضوا على موتكُم هذا - **وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾، إنّهُ موت القُلوب، هذا المضمون الّذي نقرأهُ في دُعاء النُّدبة الشريف ونحن نُناجي إمامَ زماننا: (**أَيْنَ الْمُؤَمَّلُ لإِحْيَاءِ الكِتَابِ وَحُدُودِه** - هذا الإحياء أين يكون؟ في قُلُوبنا، في عُقُولنا، لأنَّ الطوسيّينَ قد قاموا بعمليّة إماتة - **أَيْنَ مُحْيِي مَعَالِمِ الدِّيْنِ وَأَهْلِه**)، فالدِّينُ قد أماتهُ الطوسيّونَ بعدَ أنْ أماتهُ سقيفيوا بني ساعدة.

هذا المضمونُ واضحٌ في سورة الأنعام، الآية الثانية والعشرين بعدَ المئة بعدَ البسملة: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ** - بحسبِ تفسيرهم لقُرآنهم "أَوَ مَن كَانَ مَيتاً"؛ لا يعرفُ شيئاً، لا يعرفُ إماماً - **أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ** - أحييناهُ بمعرفة إمامِ زمانه - **وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً** - هذا النُّور أثرُ المعرفة بإمامِ زمانه، جعلنا لهُ إماماً، جعلنا لهُ معرفةً، جعلنا لهُ هدايةً - **يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ** - مَن هُم هؤلاء الكافرون؟ الّذينَ لا يعرفونَ إمامَ زمانهم - **مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾.

في سورة سبأ، الآية السادسة والأربعين بعدَ البسملة: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ** - هذه الواحدةُ هي وَلايةُ عليٍّ وآل عليٍّ بحسبِ تأويلهم لِقُرآنهم وتفسيرهم لقُرآنهم - **أَن تَقُومُوا للّه مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا**﴾، هذه قَومَةٌ هذه نَهضَةٌ، القَومَةُ إنّما تكونُ بعدَ النَّومة، فيا أيها النّائمون قُوموا.

هُناكَ نَومَةٌ وهُناكَ قَومَةٌ، هُناكَ إماتةٌ وهُناكَ إحياء.

مَثنى إشارةٌ إلى المجموع، فُرادى إشارةٌ إلى المفرد، والمجموعُ هو هذا التيّارُ الّذي حدّثتُكم عنه، عن التيّار الفكري المجتمعي.

- **ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾، أنا لا أريدُ أن أدخُل في كُلِّ التفاصيل، إنّما أردتُ أن أقتبسَ هذه الإشارات إنّها ثورةٌ على حالة الموت..

سُؤالٌ قد يُطرحُ هنا: **ما هو الطريقُ إلى أن نَكونَ صادقينَ مع أنفُسنا؟!**

الطريقُ هو التدبّر في ماضينا وحاضرنا ومُستقبلنا على المستوى الشخصي، والتفكّرُ في أحوال الدُّنيا من حولنا، أن نَتذكّرَ الأحوال الّتي تَغيّرت في حياتنا أكانت أعمارُنا طويلةً أم كانت قصيرةً الدُّنيا تتغيّرُ في أقلّ من ثانية، أن نَتدبّرَ في ماضينا وحاضرنا ومُستقبلنا، علينا أن نتذكّرَ أخطاءنا دائماً، علينا أن نتدبّرَ فيها وأن نَعتبرَ منها، وعلينا أن نُفكّرَ في الأحوال الّتي تُحيطُ بنا في أحوال الدُّنيا في أحوالِ النّاسِ الّذينَ نَعرِفُهم وفي أحوالِ الشخصيّات المشهورة في هذا العالَم مِنَ الحُكّام وغيرِ الحُكّام.

أصحابُ الحُسينِ الّذينَ هُم مثالٌ نادرٌ في التأريخ الشيعيّ كانوا صادقينَ مع أنفُسهم ورتّبوا أثراً عملياً، ومن هُنا نقرأُ في زيارة عاشُوراء في سُجودها وَصفَ أصحابِ الحُسَين: (وَثَبتَ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الحُسَينِ وَأَصْحَابِ الحُسَينِ الّذينَ بَذَلُوا مُهَجَهُم دُونَ الحُسَينِ عَلَيه السَّلام)، بَذَلوا مُهَجَهُم، هذا التعبيرُ تعبيرٌ بليغٌ ودقيقٌ، "بَذَلُوا مُهَجَهُم"؛ جَعَلُوا قُلُوبَهُم خاليةً للحُسَينِ فقط، مُهجةُ الإنسانِ عُمقهُ النّفسي الباطني، عُمقهُ الوجداني، فأصحابُ الحسينِ بَذَلوا مُهجَهُم دُونَ الحُسَينِ عليه السَّلام، بَذَلوا مُهَجَهُم مَعنوياً الإحساسُ والشُّعورُ والوجدانُ الّذي كانَ يُهيمنُ عليهم، وبَذَلوا مُهَجَهُم مادياً قُلوبَهُم الّتي في صُدورهم في أجسادهم هذه مِيزتُهم؛ "صَدَقوا معَ أنفُسِهِم، رتّبوا الأثرَ العملي فَصاروا صادقينَ مع الحُسَين"، هذه هي الواحدة الّتي يُريدها القُرآن؛ ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ**﴾.

حينما نريدُ أن نُرتّبَ أثراً عملياً يأتي مُنسجماً مع صدقنا مع أنفُسنا إنّنا بحاجة إلى قَومَة، إلى نَهضة في داخلِ نُفُوسنا، أتحدّثُ عن ثورةٍ داخليّة، عن ثورةٍ وجدانيّة، عن ثورةٍ نَفسيّة، عن موقفٍ إبراهيمي في تحطيمِ الأصنامِ الداخليّة عندنا، هذه الثورةُ لها بيانات:

- **البيانُ الأوّل:**

في (مختصر البصائر) للحسن بن سُليمان الحلّي، من أعلام القرن الثامن الهجري، الكتابُ الأصل لسعد الأشعري/ طبعةُ مؤسّسة النشر الإسلامي/ قم المقدّسة/ صفحة ٢٣١/ رقم الحديث (٢٣٦): **بِسنَده، عَن الفُضَيلِ بنِ يَسَار، قَالَ: دَخَلتُ عَلَى أَبِي عَبد اللّه** - الصّادق صلواتُ اللّه عليه - **أَنَا وَمُحَمَّد بنُ مُسْلِم** - شخصيّتان معروفتان من أصحابِ إمامنا الصّادق - **فَقُلْنَا: مَا لَنَا وَلِلنَّاس** - فليشرق النّاس وليغربوا مَا لَنا ولَهُم، هذا هو الّذي يُريدهُ إمامُ زماننا أن لا نَعبأ بالنّاس - **بِكُم وَاللّه نَأتَم** - يُخاطبُون الإمام الصّادق - **وَعَنْكُم نَأخُذ وَلَكُم وَاللّه نُسَلِّم وَمَن تَوَلَّيتُم وَاللّه تَوَلَّينَا وَمَن بَرِئتُم مِنهُ بَرِئنَا مِنه وَمَن كَفَفْتُم عَنه كَفَفْنَا عَنه** - نُوالي مَن تُوالون، نتبرأُ ممَّن تتبرّؤونَ منه والّذينَ لا تُظهرونَ الوَلايةَ والبراءةَ بِخُصوصه نحنُ كذلك نفعل كما أنتم تفعلون - **فَرَفَعَ أَبُو عَبد اللّه** - إمامُنا الصّادقُ صلواتُ اللّه عليه - **فَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاء فَقَال: وَاللّه هَذَا هُوَ الحَقُّ الْمُبِين.**

- علينا أن نَصْدُقَ معَ أنفُسنا.

- وأن نعيشَ في حدِّ التقصير في خدمة إمام زماننا.

- وأن نُرتّبَ الأثرَ العملي على صِدقنا معَ أنفُسنا.

هذا هو البيانُ الأوَّل مِن بياناتِ ثَورتِنا الوجدانيّة ثورتنا القَلبيّة؛ **"مَا لَنَا وللنَّاس"**.

• البيانُ الثاني:

في (نهج البلاغة الشريف)، طبعةُ دار التعارُف للمطبوعات/ بيروت - لبنان/ الخُطبةُ السابعةُ والأربعون بعدَ المئة: **وَاعْلَمُوا أَنَّكُم لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذي تَرَكَه** - هَذا الرُّشْدُ الَّذي تَحدَّثَ عنهُ البيانُ الأوَّل والَّذي قالَ عنهُ إمامُنا الصَّادق من أنَّهُ هُو الحقُّ الْمُبين لَن نَعرِفَهُ حتَّى نَعرِفَ الَّذي تَركَه، حتَّى نَعرِفَ الأَشخاص ونَعرِفَ ماذا فعلوا، والإمامُ هُنا استعملَ (لن) الَّتي هي للنفي التأبيدي - **وَلَن تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الكتَاب** - ما قالَ حتَّى تعرفوا نواقضَه وإنَّما قالَ - **حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذي نَقَضَه** - الأشخاص - **وَلَن تَمَسّكُوا بِهِ** - لن تَتمسّكوا بالكتاب - **حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَه** - ولِذا فإنَّ برامجَ قناة القمر بُنِيت على هذا المنهج.

• البيانُ الثالث وهُو الأهم:

الآيةُ المئتان بعدَ البسملة من سورة آل عمران: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.

"اصْبِرُواْ"؛ اصْبِروا على دِينِكُم، اصْبِرُوا على الرّشْد.

"وَصَابِرُواْ"؛ صَابِروا الَّذينَ تركوا الرشد وخَالَفوه.

"وَرَابِطُواْ"؛ رَابِطُوا إمامكم، هذا ما هو تأويلي هذا تأويلُهم وتفسيرهم لقُرآنهم في رواياتهم وأحاديثهم.

"وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون"؛ هذه التَّقوى هي الَّتي جاءت في الآية التاسعة بعدَ العاشرة بعدَ المئة من سورة التوبة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾، "كُونُواَ مَعَ الصَّادقِينَ"؛ أي تكونونَ صادقينَ معهُم، فإذا كُنتمَ صادقينَ مَعهُم كانوا صادقينَ مَعكُم..

جاءت التَّقوى بعدَ المرابطة معَ إمَامِ زماننا، إنَّهُ الكَونُ معهُ، الكَونُ معَ الصَّادقين، قَطعاً المرابطةُ تحتاجُ إلى صِدق أن نَكونَ صادقينَ معَ إمامِ زَماننا أكانَ ذلكَ في زمان الغَيبةِ أم كانَ ذَلكَ في زمان الحضور..